المحاضرة الثانية: ابن خلدون مؤسس فلسفة التاريخ:

إذا كان مصطلح فلسفة التاريخ ظهر ولأول مرة في عصر الأنوار بفرنسا خلال القرن الثامن عشر على يد فولتير ، فإن هذا لا يعني أنها قد بدأت معه، فالتفلسف في التاريخ قد ظهر حقيقة قبل ورود المصطلح بمدة طويلة، فقد كان عبد الرحمان ابن خلدون أول من أشار إلى أن التاريخ " نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو أصيل في الحكمة عريق."[1] وبهذا المعنى ميز العلامة بين ظاهر وباطن التاريخ فأما ظاهره فهو الخاص بالتاريخ عند العوام أما باطنه فيقصد به إدراك بواطن الأمور ومعرفة عللها وأسباب حدوثها، وعليه حذر ابن خلدون من الأغاليط التي يقع فيها المؤرخون عند تدوينهم للتاريخ وذلك بالاعتماد على منهج علمي قوامه التقصي والتمحيص والاستفسار، ومن بين هذه الاغاليط: 1) التشيع للآراء والمذاهب: "فالنفس إذا خامرها تشيع لرأي ما أو نحلة ما قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة حيث يصبح لذلك التشيع غطاء على عين بصيرتها أي لا يحدث انتقاد أو تمحيص بل يقع القبول فقط."[2] ومعنى هذا هو التعصب والتشدد لقوم على قوم، والتحيز لفئة دون أخرى.

2)الثقة بالناقلين: " فإن الراوي قد يكون كاذبا وإذا وثق المرء به نقل كذبه إلى غيره بغير قصد ولا سبيل إلى اجتناب الأخطاء بالتعديل والتجريح"[3]، ومعنى ذلك أن الرواة ينقلون الأخبار دون تمحيص أو تدقيق لما يسمعونه ، فيقعون في الأخطاء ولتجنب مثل هذه الأخطاء والتأكد من سلامة الروايات التاريخية يجب الاعتماد على منهج التعديل والتجريح وهو منهج ابتدعه رواة السنة النبوية والحديث الشريف.

1-ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تح أبي عبد الرحمان عادل، بن سعد، الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص9 .

2-نفس المصدر، ص41.

3-جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط2، 1973، ص567 .

3)الذهول عن المقاصد:" فكثير من الناقلين لا يعرفون القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنه فيقع في الكذب."**1** ومعنى ذلك أن الناقلين للأخبار لا يعرفون القصد منها فينقلونها ظنا منهم أنها صادقة لكونهم أخطأوا فهمها واستيعابها.

4)ولوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان،5) التأسيس بالقوم يأتونه من طاعة لذاتهم،6) القياس والمحاكات، 7)الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبس والتصنع، 8) الجهل بطبائع الأحوال في العمران.

هذا وأشار ابن خلدون في المقدمة إلى كيفية اجتناب هذه الأغلاط كالتجرد من الهوى، والتزام الحق، والإقدام على البحث التاريخي دون غرض سابق، والعناية بتمحيص كل خبر يخامره شك. كما أشار إلى أمران أساسيان هما: الأول وهو النظر في مبلغ صدق الرواة وأمانتهم الذي يتعين بالتجريح والتعديل أما الثاني فهو النظر في إمكان الوقائع المروية أو استحالتها والذي لا يمكن النظر فيه إلا بمعرفة طبائع العمران ومطابقتها للواقع، ويعتبر الأمر الثاني حسب ابن خلدون أحسن الوجوه وأوثقها في تمحيص الأخبار لأنه يعصم المؤرخين من الوقوع في الأخبار الزائفة المخالفة لقوانين الحياة الاجتماعية.

2- جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، ص568. .